المقدمة

ولد الأستاذ سليمان داود الحزامى عام ١٩٤٥م فى الكويت، ونشأ فى بيت فيه الكتاب. بدأ يحب القراءة منذ الصغر، أخذ حب القراءة من والده الذى توفى عام ٢٠٠٧م، وتعلم منه قراءة روايات الهلال، وكتب فى الأدب العربى، ودواوين الشعر، وألف ليلة وليلة.يقول الحزامى فى مقابلة مع برنامج (همسة القلم):

«فتحت عينى فى بيت مثقف، والدى كان قارئاً ممتازاً تعلم فى الكتاتيب، تعليما ذاتيا، لكنى وجدت دواوين شعر، وروايات الهلال؛ فبدأت القراءة مبكراً، ولم يبخل والدى فى جلب الكتب، والمجلات، مثل: سمير، والسندباد، والمصور، وآخر ساعة، حتى إننى أتذكر والدتى عندما صدرت مجلة العربى عام ١٩٥٨م، وقتها كنا نقطن فى منطقة حولى، فكانت رحمها الله تذهب إلى الكويت كل شهر خصيصاً لتشترى لى مجلة العربى، لذلك استطعت تكوين أول مكتبة لى فى البيت، وأنا فى سن صغيرة، هذا بالإضافة إلى أننى كنت ألقى خطبة الصباح بالإذاعة المدرسية، وهذا كان يتطلب منى القراءة المستمرة.» (بندبى، ٢٠١٠م: ٦٤)

درس الحزامى فى مدرسة المرقاب، وبعد ذلك انتقل إلى منطقة حَوَلِّى، حيث درس الابتدائية، والمتوسطة هناك.وبعد أن أنهى المرحلة المتوسطة سافر عام ١٩٦٣م إلى لندن، و كان هناك دورة فى اللغة الإنجليزية، وقد تكرر سفره عدة مرات، لإنجلترا لتعلم الإنجليزية.كما التحق بمعهد المعلمين، وتخرج عام ١٩٦٧م، كمدرس موسيقى بتقدير جيد جداً.واحترف التدريس، وفى عام ١٩٦٩م أخذ شهادة مركز الدراسات المسرحية. وأخيرا سافر إلى بريطانيا لدراسة الأدب، وعاد فى الشهر الثامن لعام ١٩٧٥م وأخذ شهادة الليسانس فى الأدب الإنكليزى قسم الدراما، وكانت دراسته تدور حول الأدب المسرحى الإنكليزى، كما أخذ ميدالية برونزية للخطابة، تتبع للكلية الملكية، وكان العربى الوحيد الذى يأخذ ميدالية فى فن الخطابة، والإلقاء، والذى اختبره كان من كبار المسرحيين فى العالم.وكان دوره، أو الخطبة التى ألقاها، مشهد راعى الإصطبل فى مسرحية مكبث، وأخذ شهادة تقديرية، لكنه لم يستفد منها فى التمثيل.وبعد تخرجه بدأ

قراءات فلسفية لديكارت، وسارتر، وغيرهما، واتجه بعدها للفلسفة الإسلامية، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالى، وتهافت التهافت لابن رشد، مما أدى إلى نضوج عقله. (المصدر نفسه: ٥٨)

وبعد أن أصدر وزارة التربية نشرة، لحاجتها إلى مدرسين لغة إنكليزية، ولحبه بالإنجليزية، وإجادته لها، تقدم ضمن مجموعة، ونجح فى الاختبارات الشفوية، والتحريرية. ثم ترك التدريس، واستلم برنامج إذاعة الطلبة حتى ١٩٨١م وانتقل إلى رئيس القسم، ومراقب للنشاط المسرحى، والثقافى فى وزارة التربية حتى عام ١٩٨٢م. ثم انتقل إلى إدارة البعاث، واستمر حتى فترة قبل الاحتلال بسنة، وعمل فيها حتى ١٩٨٩م. وعندما تم تأسيس وزارة التعليم العالى جرى اختياره ١٩٩٠م كمدير لإدارة التنسيق، والمتابعة للمعاهد الفنية. (المصدر نفسه: ٥٩)

فانتقل من وزارة الإعلام إلى وزارة التعليم العالى، وكان ينسق بين معهدى المسرح، والموسيقى العالميين. استمر فى هذه المهمة إلى فترة طويلة، بعدها تم اختياره كمستشار لوزير التعليم العالى، وعمل مستشاراً إعلامياً للجنة الوطنية لدعم التعليم. وهذه اللجنة هى التى أسسها المرحوم أحمد الراعى وزير التربية، وأسهمت ولاتزال تسهم. فكان مستشاراً إعلامياً، وأصدروا مجلة التواصل. (المصدر نفسه: ٥٨)

تم اختياره فى المجلس الوطنى للثقافة، والفنون، والآداب كمستشار هناك، وقد اختاره الدكتور محمد الرميحى ١٩٩٨م أميناً للمجلس، وعندما عاد من خارج الكويت فاجأه، وطلب منه لقاء، فذهب إليه، فطلب منه تقريرا، حول سلسلة المسرح العالمى. والدكتور إسماعيل الوافى كان يشرف عليها، وعرض عليه أن يكون مستشاراً لسلسلة جديدة من إبداعات. لأنه اشترط أن يكون هناك أعضاء فى هيئة التحرير، يعرفون اللغة، ويعرفون الترجمة. وقد وجد الدكتور الرميحى فيه القدرة على إشراف سلسلة الإبداعات العالمية، وصدر العدد الأول فى نوفمبر ١٩٦٩م، وتم اختيار هيئة التحرير، كلهم من أصحاب اللغة: الدكتور أسامة الشطى، وزبيدة أشكانى التى تجيد ثلاث لغات، قراءة، وترجمة، وكتابة.

ومن أهم إنجازات الأستاذ الحزامى، أنه كَوَّنَ قاعدة من المترجمين الكويتيين، والعرب: ألمانى، إيطالى، إنجليزى، فرنسى، الأردو (سليمان حنيفى)، واللغة الفارسية (زبيدة أشكانى).وأصبح لديه حوالى ١٦ مترجما، من مختلف اللغات، واستطاعوا أن يترجموا نصوصا من مختلف اللغات إلى العربية، ويذكر أنهم ترجموا أكثر من خمسة نصوص من الفارسية إلى العربية من بينها رواية (نون والقلم). (المصدر نفسه: ٥٩)

هذا العمل جعله يتعرف على الآداب الأخرى، مما جعله يقرأ كثيراً.كانوا يعطون النص، ويقرأه المترجم، ويعطيهم تقريراً عن النص. لقد استفاد كثيراً خلال عشر سنوات كمستشار. وعمل كعضو لجنة رقابة الكتب فى وزارة الإعلام من ٢٠٠٥-٢٠٠٢م وهذه اللجنة يتم تغييرها من فترة لأخرى. استمر الحزامى عمله إلى أن تقاعد بعد خدمة دامت ٤٠ عاما. (محمد صالح، ١٩٩٦م: ١٧٨)

استطاع الحزامى أن يقوم بإنجازات أخرى خلال الفترة التى كان يخدم الكويت، إذ أخذ شهادات، ودورات إذاعية، وإخراج وإعداد إذاعى، لأنه فى الصيف كان يبقى فى بريطانيا. وعنده أربع شهادات متخصصة فى الإذاعة. كما عمل فى الإذاعة كمُعِدٍّ برامج، وأخرج مسلسلات إذاعية (كبائعة الخبز)، و(الناقة)، وأخرج (أمسية الأربعاء) لمدة سنتين، و (مع الطلبة) حول النشاط المدرسى، وعمل برامج باللغة الإنجليزية لمدة سنة: (ندوة الأسبوع)، و(همسة قلم)، و(ذكريات ديبلوماسية) لكن البرنامج الذى دائماً فى ذهنه هو: (همسة قلم)، و(ذكريات ديبلوماسية) الذى استمر أكثر من ١٥ سنة. وعمل برامج تلفيزيونية منها: (رجالات الكويت)، و(حصاد الأيام). وكلها وثائقية، وتسجيلية حوالى ١٥٠ساعة. (بندبى، ٢٠١٠م: ٦٧)

أبرز نتاجات الحزامى

اشتهر الأديب الكويتى سليمان الحزامى بمسرحياته و«فن الحزامى المسرحى يتواصل بقوة مع الاتجاهات العالمية والتجريبية، ولايتوقف عندما يطلق عليه القضايا الاجتماعية والهموم المحلية، وهذه النزعة الإنسانية الشاملة تنبع من ذاته واتجاه قراءاته.» (حسن

عبدالله، ١٩٩٦م: ١٣٩) كما «تتميز مسرحيات الحزامى، بأنها تستند إلى خلفية ثقافية واسعة. وكل مسرحية، تُكلِّفه سنوات عديدة من البحث، والتحضير. تنتمى مسرحياته إلى مسرح العبث، واللامعقول، والبعض الآخر ينتمى إلى الشكل التاريخى، مع الإسقاط على الحاضر.قرأ الحزامى المسرح، وفى الأدب العربى، والتاريخ، والسياسة، والشعر. كتب المقالة النقدية فى المسرح، والاجتماع، كما كتب القصة القصيرة، ونشر معظم إنتاجه فى الصحف المحلية، والمجلات النقدية.» (محمد صالح، ١٩٩٦م: ١٨٩)

ومن أهم ميزات مسرحيات الحزامى أنه يلجأ فيها «إلى التاريخ، يعيد صياغته مسرحيا، فيطوف من الأندلس، والمعتمد بن عباد إلى عصر الطولويين، والبذخ الذى يسقط الدول وصولا إلى الأحلام التى يحملها العظام من الرجال، فيكون المتنبى ركيزة هذا الحلم ليحط بعد ذلک عند عالم الأسطورة الشهرزادية فى الليلة الثانية بعد الألف.» (الشطى، ٢٠٠٩م: ١٦)

مؤلفاته المسرحية

١. مدينة بلاعقول: صدرت عام ١٩٧١م عن دارالعودة، بيروت.
٢. القادم: صدرت عام ١٩٧٨م عن دار ذات السلاسل.
٣. امرأة لا تريد أن تموت: صدرت عام ١٩٧٨م عن دار ذات السلاسل.
٤. يوم الطين: صدرت عام ١٩٨٢م عن دار ذات السلاسل.
٥. المسألة: صدرت عام ١٩٨٢م عن دار ذات السلاسل.
٦. بداية البداية: صدرت عام ١٩٨٩م عن دار الشراع العربى.
٧. الليلة الثانية بعد الألف: صدرت عام ١٩٩٨م عن دار ذات السلاسل.
٨. بداية النهاية: صدرت عام ٢٠٠١م عن دار الشراع العربى.
٩. بورشيا: صدرت عام ٢٠٠٦م.

وقدعُرضت بعض مسرحياته على مسارح الكويت مثل مسرحية: (مدينة بلاعقول) إخراج دخيل الدخيل، والتى عرضت فى مارس ١٩٩٠م، ضمن فعاليات مهرجان الدوحة

فى دولة قطر. وحصل كاتبها على شهادات تقديرية، إذ حصل على شهادة تقديرية من قطر.وعرضت مسرحية القادم من إخراج عثمان عبدالمعطى فى الكويت عام ١٩٩٠م، قبل الغزو الآثم.

كما عرضت مسرحية امرأة لاتريد أن تموت فى الكويت عام ١٩٩٤م، من إخراج منقذ السريع الذى دخل عليها دخولا ناجحا، فوظف الإطار العام، والديكور، والأزياء، والحركة المسرحية بحيث استطاع أن يخلق نصا موازيا للنص.(الشطى، ٢٠٠٩م: ١٨)

وعرضت مسرحية عودة الجبرتى (بداية النهاية) على مسرح الشباب فى الكويت، و هى من إخراج محمد الحداد عام ١٩٩٥م. وتعتبر شهادة من التاريخ لما حدث للكويت.» (المصدر نفسه: ١٧٩)

«و له بعض القصص القصيرة: الأصابع تنمو من جديد، نشرها فى جريدة، الوطن المحطة، ورجل لايريد أن يكون بطلاً، ودقائق، والرجل الذى لايقول لا، وقد نشرت هذه القصص الأربع فى مجلة (البيان) التى تصدر عن رابطة الأدباء بالكويت.» (المصدر نفسه: ١٨٠)

مسرحية بداية النهاية

تعتبر بداية النهاية قصة طريفة، كتبها الحزامى عام ١٩٧٣م. وكان تحت تأثير مسرح اللامعقول، وكتبها عندما حصل مناوشات حدودية من العراق على الكويت، وكان الحزامى آنذاك فى إيطاليا، وكان يفكر أنه كيف يمكن لدولة عربية أن تعتدى على دولة عربية أخرى؟ كما تخيّل مدينتين، مدينة كبرى، ومدينة صغرى، والمدينة الكبرى تهجم على المدينة الصغرى. (بندبى، ٢٠١٠م: ٩٥)

كان اسم المسرحية فى بداية الأمر (عودة الجبرتى)، وهو الرجل الذى يأتى من الماضى، ليدافع عن الحق والحقيقة، إنه عاصر الغزو، والاحتلال الفرنسى لمصر، وشاهد الأحداث. كتب الحزامى هذه المسرحية وأودعها الدُّرج، وفى عام١٩٩٠م عندما حدث الغزو، واحتل العراق الكويت لمدة سبعة أشهر، قرر أن ينشر المسرحية، فغيّر العنوان من

(عودة الجبرتى) إلى (بداية النهاية)، وحصل على هذه المسرحية، على جائزة التشجيع من هيئة الدولة ١٩٨٢م. كما حصلت هذه المسرحية على جائزة وزارة الإعلام. (المصدر نفسه: ٩٥)

نشاهد فى هذه المسرحية أحداثا، تبدو للإنسان أنه عاشها حيث يأخذ الإنسان إلى عام ١٩٧٣م. وللتأكيد على هذا نشير بإيجاز شديد إلى ملخص المسرحية.

المشهد الأول من الفصل الأول

يتجلى فى المشهد الأول حضور منجزات العلم الحديث فى عصر الفضاء، والصواريخ، وأبواق السيارات، وصور إطلاق صواريخ، ومركبة فضاء، وغيرها من معطيات العصر الحديث. جاء المؤرخ بالجبرتى من الماضى ليكشف الحقيقة. فى بداية الأمر يقوم المؤرخ بتقديم الجبرتى للحضور الموجودين فى القاعة.يشير إلى لباسه المختلف تماما عن لباس الآخرين. غير أن الجبرتى مندهش من العصر الحاضر. لم تكن أشياء هذا العصر موجودة فى عصره. إنه يواجه دائماً أحاديث، وأشياء غريبة. الصبى الذى يبيع الصحف، وهو لقمة عيشه دون أن يدرى الصالح من الطالح فى تلك الجرائد. يأخذ الجريدة من الصبى، وبعد أن يقرأ خبر انتحار القائد العسكرى فى مدينة ساسا يصير متعجبا. خاصة عندما ينتبه أنّ نائبه فى الحكم قام بقتله، وخرج على الناس قائلا: إن حاكمكم قد انتحر.ويزداد التعجب لدى الجبرتى من العلم الحديث، ومن أمر الناس فى العالم المعاصر، ففى العالم الحديث، تقرب المسافات. إنه يتأكد أنها صورة اجتماعية لم يعهدها فى عصره. (الحزامى، ٢٠٠٦م: ٩٣-١٠٠)

ويواجه الجبرتى فرجا، رئيس تحرير واحدة من أشهر الصحف فى العالم، وهو يعتقد أن قيام صديق حاكم ساسا عليه، وقتله يكون حدثاً عادياً. كما يأتى:

الجبرتى: وما قصة ساسا هذه؟

فرج: إنه حدث عادى. رجل قام بانقلاب على زميله، وشريكه فى الحكم لخلاف فى طريقة الحكم.

الجبرتى: هكذا؟

فرج: نعم هكذا.

الجبرتى: والضحايا الذين سقطوا؟

فرج: إنها طريقة التغيير. فأنت عندما تريد أن تغير شيئاً أن تضحى بشىء آخر وهكذا.

ويقول إنه يعرف حاكم ساسا الجديد، إنه قوى الشخصية وهو أول صحافى يقابل هذا الحاكم الفذ. يقول الجبرتى بعد ذهاب فرج إنّ هذا الشخص قليل الفهم. ثم يطلب من المؤرخ أن يريه ما يحدث فى ساسا. (المصدر نفسه: ٩٣-١٠٤)

المشهد الثانى من الفصل الأول

وفى المشهد الثانى أيضاً يشير إلى الأجهزة التى توجد فى العصر الحاضر مثل: التلفيزيون، والفيديو، والفكس. وتجدر الإشارة إلى أن حوادث هذه المسرحية تجرى فى نهاية القرن العشرين، أى قد مضى منذ وفات الجبرتى حتى هذا الزمان أكثر من مائة وسبعين عاماً أو أقل. يرى الجبرتى أن كل شىء يتم ببساطة فى عالم اليوم. ويستمع إلى إلقاء خطابة الحاكم المستقبل لساسا، وهو يقول للشعب: أيها الشعب العظيم، لقد جاءكم النصر وذهب الفساد إلى غير رجعة، يا أبناء ساسا إن بلادكم ستنمو وتكبر. يعلم الجبرتى أن كل ما قاله الحاكم هراء، ولهذا يرثى للمعاصرين ولكن المؤرخ يقول: إنه نموذج للحاكم المستبد. (المصدر نفسه: ١٠٥-١٠٧)

المشهد الثالث من الفصل الأول

تجرى الحوادث فى هذا المشهد فى مقهى شعبى فى ساسا، حيث يزور الجبرتى عدداً من رواد المقهى. وهنا يتعرف على الضابط الذى ترك العمل فى الجيش ويكتم سببه، حتى أمام زوجته، بسبب خوفه من عيون الحاكم. يذكر الضابط للجبرتى أنهم تحولوا إلى شعوب صامتة وحتى عند ممارسة الجنس فى السرير لأنهم لايثقون بزيجاتهم خوفا

من المخابرات. وبعد فترة يزور المتسول الجبرتى، وفى المشهد الآخر نفهم أنه كان أحد عيون الحاكم بين الناس؛ ويقول للجبرتى: إنكم دولة غنية.وهنا يشير المتسول إلى غناء تاتا – وهى دولة محاذية قريبة لساسا – وثرواتها الهائلة بالرغم من صغرها.ثم يستفسر الجبرتى صحة هذا الموضوع من الضابط غير أنه يصرفه عن السؤال، ولكن الجبرتى يلح على الضابط وأخيرا يصرح الضابط على ما قاله المتسول. ويسأل المتسول سبب حضور الجبرتى، كما جاء فى الحوار التالى:

المتسول: لماذا ترتدى هذه الملابس (مستدركاً)، عرفت من البعض أنک لست من سكان تاتا الأصليين؟

الجبرتى: أنا رجل قادم من التاريخ.

المتسول: سمعت ذلک ولكن لم أصدق.

الجبرتى: أنا عبدالرحمن الجبرتى، جئت من التاريخ لأشهد على عصركم.

المتسول: تأتى من الماضى لتشهد على الحاضر.

الجبرتى: نعم، وساءنى ما شاهدت.

الضابط: (لنفسه) لم ترشيئا بعد! (المصدر نفسه: ١٠٩-١١٢)

ويقول الضابط للجبرتى إن ذاک المتسول كان من المخابرات، ثم يريد منه أن يتخيل الحقيقة التى تجرى فى عالمهم. (وبعد أن ينظر الجبرتى بخياله، يضاء المنتصف الثانى من المسرح) وتظهر امرأة جميلة، شبه عارية فى يد غضبان. وهى بمثابة بوابة لوصول غضبان إلى ما يريد. لكن المرأة تقول إنها تريد التوبة والزواج معه، وتشير إلى أنها باعت ماء وجهها له ولغيره. وعدها غضبان أنه سيتزوج معها بعد إنجاز المهمة. والمهمة ليست إلا إقامة علاقة مع أدهم وزير الدفاع السابق فى ساسا. وفى النهاية تستسلم المرأة لما أراد غضبان، وقابلت مع الوزير أدهم، وهكذا يشير الضابط إلى كيفية تركه العمل بعد دسائس عيون الحاكم، لأن هذا الوزير ليس إلا الضابط الذى باح أخيرا بأسراره لدى الجبرتى، إذ قال: بعد انقلابات كثيرة جاء الحاكم الجديد، وشنق من شنق، وكنت ممن نالهم العفو بشرط ألا أتحدث وإلا فالموت بالمرصاد. (المصدر نفسه: ١١٨)

فى هذا المشهد يقابل الجبرتى الحاكم، وهو يؤكد على أنهم يعيشون عصر الحضارة. وكل شيء ميسر، الحياة رغدة والناس يعيشون فى أمان. ويؤكد الجبرتى على أنّه يريد أن يسمع هذه الأحوال من الناس، لكن الحاكم خالف، قائلا: أنا لسان الناس، أنا الشعب. ومن هناك بدأ الجدال بينهم.صدر الحاكم أمرا بأن يغادر الجبرتى ساسا فورا، وحينما أراد أن يخرج مع المؤرخ من ساسا، فجأة جاء المتسول (جاسوس الحاكم) وألقى القبض على بعض الرجال الموجودين المختبئين فى المقهى.والجاسوس يهدد المؤرخ والجبرتى أنهما إذا لم يغدرا ساسا، سيكون مصيرهما كالآخرين. (المصدر نفسه: ١١٣-١٢٣)

مشهد التعذيب

فى مشهد التعذيب تفتح الستارة على أدهم مصلوبا، والرجل مقيد إلى عمود من الحديد، والمرأة مقيدة. وغضبان يقول لأدهم إنه نصحه، لكن أدهم لم يسمع النصيحة، وفى جوابه يقول أدهم: كنت تنصحنى حتى أبيع عرضى ولكننى رفضت طبعاً. وفى النهاية أطلق المتسول النار على الرجل والمرأة، وبينهما أدهم فى حالة ذهول. (المصدر نفسه: ١٢٥)

المشهد الأول من الفصل الثانى

يحدث هذا المشهد فى غرفة نوم فى تاتا، الغرفة التى كانت فيه الجبرتى، حيث يدخل حاكم ساسا الغرفة فجأة. ويجرى الحوار بينه، وبين الجبرتى عن الحوادث التى جرت فى ساسا وتاتا. وأشار الحاكم بأنه يكون نابليون عصره، وصانع التاريخ، فما يريده أخذه ولن يلتفت إلى حوار، وأراد من فرج أن يكتب للناس بأن تاتا عادت لساسا. ثم يسأل الجبرتى الحاكم عن كيفية إلحاق تاتا إلى ساسا.والحاكم يرد أنها تم إلحاقها بالوحدة.والجبرتى يجيب أن الوحدة لاتكون فى منتصف الليل، بل هى تكون فى وضح النهار.ويسأل الحاكم من الجبرتى سبب حضوره إلى عصره، ويقول الجبرتى: إننى أجيء لأشهد على عصركم، وعلى ما يحدث فيه. قال للجبرتى إن جيش حاكم ساسا يسيطر

على تاتا. والحاكم يطلق النار على المتسول. والجبرتى يقول للحاكم: إن الموت رخيص عندك. والحاكم يذكر أن العصيان من أوامره فى ساسا، وتاتا يعنى الموت.وفى نهاية هذا المشهد يجرى حوار بين المؤرخ والجبرتى، وهما يذكران أن الناس لاتصدق أن يتم ابتلاع الدول هكذا. (المصدر نفسه: ١٢٩-١٣٦)

المشهد الثانى من الفصل الثانى

يكون هذا المشهد فى المكان نفسه فى المشهد الأول من الفصل الأول، ويرى الجبرتى الصبى بائع الصحف، والحزن يلفه، كما كان يقول: ذهب الفرح من يوم دخل الغزاة أرضنا. قتلوا أبى، وسرقوا البيت، وبينما تسمع طلقات النار، يقول الجبرتى للصبى: تذكر يا ولدى أن الظلم لا يدوم. سوف ترى إن حاكم ساسا يصعد للموت.تذكر يا ولدى أنك تستطيع أن تسرق شجرة، ولكنك لن تستطيع أن تسرق أرض البستان. (المصدر نفسه: ١٣٨)

وبعد خروج الصبى يقول المؤرخ للجبرتى: إنه يرى قلمه فى يده، ولكنه مكسور فى يده. ولا يعرف الكتابة لهول ما حدث.فيؤاسيه الجبرتى بهذا القول: إن ما يحدث فى بلدكم شىء بشع، ولكن لاتنس أن العالم يقف معكم. ثم يسير غضبان نحو سلوى، وهما وصلا إلى تاتا،يجرى بينهما حوار، حيث يقول غضبان لسلوى: سآخذ من هنا بعض الأشياء النادرة لبيت الزوجية، ولكن هناك طلب بسيط. وأراد منها أن يأخذها لحاكم تاتا الجديد. وغضبت سلوى من طلبه. وقالت إنها لن تذهب، لكن الضابط أشار إلى الجنود، وأخذوها بالعنف. وفى نهاية المشهد تطلق النار، على الصبى، ويخرج الجبرتى من مكانه ليحتوى الصبى الذى ينزف. والجبرتى يقول للمؤرخ: حتى الطفولة، لم تسلم منهم، لم يبقوا شيئا للمستقبل، إنهم يقتلون المستقبل بقتل الأطفال. (المصدر نفسه: ١٣٩-١٤٢)

المشهد الثالث من الفصل الثانى

وبعد جرح الصبى، أخذه الجبرتى إلى بيته لتجرى عليه محاولات إنقاذه، ويقول

الجبرتى: إن المواقف التى شاهدتها فى تاتا، وساسا لم تمر فى حياتى، ولم أقرأ عنها، أى من الحكام الذين يعيشون لنفسهم فقط.

فجأة يدخل الضابط رعد، بأمر من الحاكم ليأخذ الصبى، باعتباره عنصرا من عناصر المقاومة، إلا أن الجبرتى لايسمح له بأخذه، وحينئذ يقتل الضابط الصبى برصاصة، حتى يأتى الجبرتى معهم، ولكنه يرفض، إلى أن يأتى الحاكم.ويجرى حوار بين الجبرتى والحاكم، حيث يقول الجبرتى للحاكم: سوف تموت أيها الحاكم، أنت ميت منذ سنوات، وتأكد موتك يوم غزوت تاتا.أنت جثة بلاكفن، أنت جثة يأكلها العفن.إن جرائمك أيها الحاكم تصرخ فى وجه التاريخ.وعندئذ يسحب الحاكم مسدسه، يوجهه نحو الجبرتى. ولكنه يعجز عن قتل الجبرتى إلى أن يقتحم عدد من رجال المقاومة البيت، مطلقين النار على الحاكم، وتصيب إحدى الرصاصات الحاكم، فيفر ومن معه مصابا بجرحه. ومن هنا تبدأ البداية للشعب، والنهاية على الحاكم المغرور. (المصدر نفسه: ١٤٨)

أسلوب الحزامى ولغته فى المسرحية

يستفيد الحزامى من الملاحظات بين القوسين، لتعليمات أو إرشادات مسرحيته التى تساعد الممثلين فى تصرفاتهم وسلوكهم بالإضافة إلى أنها يساعد فى توضيح نفسية القائل.فالكتّاب عادة يضعون فى حسبانهم أنهم يكتبون المسرحية لتُمثل، وتُعرض، وليس لمجرد القراءة؛ واهتمامهم فى كتابتها بالتعليمات الموجهة للمخرجين، والممثلين دليل واضح على هذا.(الجبورى، ١٩٨٧م: ١٥٠) ولو أرادوا لها أن تقرأ فقط لما اهتموا بهذا كله؛ والمسرحية «لايتم وضعها الفنى الحقيقى إلا حين تمثل على خشبة المسرح.» (إسماعيل، ١٩٧٨م: ١٧٧)

كما مزج الحزامى فى مسرحيته بين الخيال، والواقعية دون تعقيد وغموض، أو المبالغة فى الإغراق. فاتخذت مسرحيات الحزامى، الشكل السياسى الواقعى جداً، الذى يمس حياة الشعب اليومية. تتصف مسرحية بداية النهاية بالجد والوقار، فلم يخرج فيها كاتبها عن الجادة التى التزمها الكتاب المسرحيون، والتزم فى كتابتها أسلوباً دقيقاً.

فأسلوب الكاتب بسيط، يخلو من الصور البيانية المتكلفة، ويخلو من الصنائع اللفظية، التى تتمثل فى التوازن أو السجع. ولغته فصيحة نقية، بخلاف اللغة العامية التى كانت سائدة فى بعض المسرحيات. أى كل الأشخاص فى المسرحية يستخدمون الفصحى فى حديثهم.والعربية الفصحى لغة لها غناها، وثروتها اللفظية المتعددة، والمتنوعة.

مسرحية بداية النهاية؛ دراسة، وتحليل

عرفنا الجبرتى فى هذه المسرحية كرجل جاء من تاريخ الماضى.إنه عنصر حيادى لايقول إلا الحق.والحزامى «يستحضر المؤرخ الجبرتى، ويطوف به داخل مدينة يتحكم فى مصائرها حاكم مستبد بشعبه، يثور الشعب، ويقف الجبرتى شاهدا على أن بداية النهاية لهذا الحاكم قد بدأت بالفعل.» (حجاوى، ٢٠٠٣م: ٤٨٧) وإذا كانت المسرحية شهادة تاريخية لما حدث للكويت، فإن البلدين اللذين ذكر اسمهما فى النص ساسا وتاتا، رمزان للعراق والكويت، وهناك شواهد كثيرة فى النص تنم عن هذا الأمر.

يتطرق المؤرخ إلى بعض منجزات العلم الحديث فى هذا العصر. فهناك التلفزيون، والفيديو، والفكس، وأبواق السيارات، والصواريخ، والمركبات الفضائية؛ وهذه الإشارة جاء بها الكاتب ليؤكد على أصالة عنصر التاريخ فى الجبرتى.

وإلى جانب مظاهر العصر الحديث يتناول الحزامى بعض القضايا الاجتماعية والسياسية، إذ يشير الجبرتى إلى غرابة الأمور فى مدينة ساسا، فإنه عاش فى هذه المدينة فى العصور الماضية ولم يشاهد هذه المساوئ الاجتماعية؛ يرى أن الأطفال لايمكنهم أن يعيشوا حياة سعيدة فى هذه المدينة، لأن الفقر جعلهم أن يبيعوا الصحف دون أن يعرفوا شيئا عن مضامينها.يرى استبداد الحكام، وأنانيتهم للوصول إلى الحكم، فالقتل حدث عادى رخيص لدى حاكم مدينة ساسا، وهذا الأمر تسرب حتى إلى وسائل الإعلام، فالصحافيون يبررون تصرفات الحاكم الشنيعة لأنهم مقربون من المستبد.

الاستبداد جعل الناس خائفين فى المجتمع، وفى المقاهى، وفى ديارهم، وحتى فى السرر، لأنهم لايثقون بزيجاتهم خوفا من المخابرات.فالحاكم المستبد بعث عيونا بين

الناس وهؤلاء المرتزقة لايؤمنون بشيء ولايراعون أبجدية المبادئ الأخلاقية.يخدع المرتزقة، النساء الساذجات، وهن ينخدعن أمام الوعود الكاذبة. يصور الحزامى مجتمع العراق آنذاك بشكل وصل الاستبداد إلى ذروته بحيث يعتقد الحاكم أنه لسان الشعب. جعل الكاتب مشهدا خاصا للتعذيب وهذه تقنية فنية فى المسرحية لجأ الحزامى إليها ليدل على مدى قسوة الدكتاتور العراقى لشعبه وللآخرين وما ارتكبه فى سجونه المخيفة من جرائم وممارسات لاإنسانية.

لا يخفى أن القارئ الفطن عندما يتابع أحداث هذه المسرحية يستوعب أنها إشارة واضحة إلى العراق فى عهد الدكتاتور، كما يدرك نبوءات الحزامى فى هذه المسرحية. أدرك الكاتب أن الظلم لايدوم، وأن الاستبداد زائل لامحالة.

ترمز مدينة تاتا إلى الكويت، كما أشرنا سابقا، والكاتب أدرك مطامع العراق منذ أمد بعيد عندما حصل مناوشات حدودية من العراق على الكويت عام ١٩٧٣م إذ تخيل مدينتين: مدينة كبرى ومدينة صغرى، والمدينة الكبرى تهجم على المدينة الصغرى. والمسرحية تمت كتابتها آنذاك إلا أنها أبصرت النور عام ١٩٩٠ عندما تحققت نبوءات كاتبها متجلية فى الغزو الآثم للكويت.ويمكننا أن نعرف مدى طمع الدكتاتور فى الكويت من خلال ما قاله المتسول باعتباره أحد عيون الحاكم، فإنه يشير إلى غناء تاتا وثرواتها الهائلة بالرغم من صغرها، ويثبت هذا القول كون المتسول جاسوسا مقربا من الدكتاتور إذ يعرف مطامعه العدوانية.

بدا للدكتاتور أنه نابليون عصره، وصانع التاريخ كما يدعى أنه استطاع إلحاق الكويت إلى العراق بالوحدة، ولكن الجبرتى يسكته بإجابته أن الوحدة لاتكون فى منتصف الليل بل هى تكون فى وضح النهار.وهذه إشارة إلى غزو الدكتاتور لدولة الكويت قبيل الفجر؛ كما أنها تدل على أن الحزامى أعاد النظر فى مسرحية عودة الجبرتى، وأشار بشكل مباشر إلى هذا الغزو العدوانى بالإشارة إلى عنصر الزمن بصورة محددة.

وهكذا نرى أن الفكرة الأساسية التى بنيت عليها المسرحية هى الدعوة إلى التحرر وانهدام الظلم، وتتجه حركة المسرحية نحو فشل القوة، والظلم، والتعدى فى تحقيق

الأهداف الإنسانية.كما قال الجبرتى المؤرخ: المواقف التى شاهدتها فى تاتا وساسا لم تمر فى حياتى، ولم أقرأ عنها. أى نوع من الحكام هذا الرجل؟ أمجنون هو؟ طاغية؟ يبدو لى يا صاحبى أنه لا يقيم وزناً لأى شىء! إنه يعيش لنفسه فقط! (الحزامى، ٢٠٠٦م: ١٤٣)

إن بداية النهاية يتناول الحزامى فيها موضوعات سياسية، واجتماعية، وإنسانية مختلفة يقتبسها من التاريخ، ليعبّر من طريقها عما فى نفسه من الأفكار، والحوادث من الحياة الحاضرة.وهذا الاتجاه الواقعى الذى لمسناه فى مسرحية بداية النهاية إلى واقعية أكثر عمقا بعد الغزو الآثم للكويت.

وفى هذه المسرحية يلجأ الحزامى إلى تاريخ المدينة التى يتحكم فى مصائرها حاكم مستبد بشعبه، فيستحضر الكاتب الجبِرتى، وهو يطوف به داخل مدينة، ويصور كل القضايا الموجودة فى المجتمع. يصمت الشعب فى بداية الأمر إلى جانب ظلم الحاكم، والفقر، والفساد لكن بعد إرشادات الجبرتى، والحوادث التى تجرى أثناء المشاهد يثور الشعب، ويقف الجبرتى صامدا حتى يرى نهاية الظلم، وبداية الشعب.

وحاول الحزامى فيها أن يقدم الدراما الواقعية الاجتماعية من خلال التركيز على الجانب الانتقادى، فقدم فيها لوحات متعاقبة من حياة شخصيات عديدة (الصبى، سلوى، فرج، المتسول) وأراد من خلال علاقة هذه الشخصيات ببعضها أن يكشف عن الواقع الاجتماعى.

فهناك معنيان أساسيان دارت المسرحية حولهما: الحرية، والإنسانية.لقد حملت المسرحية الكثير من المضامين الجديدة التى ركزّت على بؤر حارة فى موضوعات حياتية (بيع الصحف عن طريق الصبى، العلاقة بين غضبان وسلوى، اعتماد فرج على الحاكم للوصول إلى مقاصده، و...).

لاتوجد فواصل بين الأزمنة والأمكنة، فالماضى، والحاضر، والمستقبل تجتمع كلها فى وقت واحد، لكن الشخص الوحيد الذى احتلّ مكانين فى المسرح هو الجبرتى الشخص الذى جاء من الماضى ليعيش فى الزمن الحاضر.

الهدف من المسرحية

إن الحزامى يريد بكتابة هذه المسرحية أن يصحح الصورة المرتسمة فى أذهان الشعب. فهذه هى مهمة الكاتب لكتابة هذه المسرحية، وأراد أن يتخذ من الصراع بين الجبرتى، والحاكم عينة على اعتراض الناس على التعسف، والظلم. تعد المسرحية صوت الحزامى الذى رفعه معترضاً بالاستبدادية، والفساد، وتضعيف القيم.

وقد سعى الحزامى إلى امتناع بعض شخصيات المجتمع المعاصر بلقاء الجبرتى فى مدينة ساسا مع الحاكم والأوضاع الاجتماعية.كما قصد المؤلف بهذه المسرحية، تصوير الفساد الذى عم ساسا فى مطلع هذا القرن، وكان للحكام الظالمين مَنْ أثر فى خلق هذا الفساد، ونشره بين الطبقات عامة.

أراد الحزامى من خلال رسم شخصيات هذه المسرحية أن يقول لجميع الناس أن الاعتماد على القوة وحدها ليس كافياً، فالحرية هى الأساس لكل حياة جميلة، ومقبولة. فقد أراد من خلالها أن يقارن ويناقش بين ساسا فى اليوم الحاضر، والقديم أى زمن الجبرتى، لأن بعض التغييرات الاجتماعية تأثرت على القيم الأخلاقية.كما يسعى أن يصور مشكلات ذات أهمية، كأجور العمال، وحقوق المرأة، والقتل والعنف فى العراق أيام الاستبداد.

وغاية القول إن الحزامى استطاع أن يصور إمكانيات الفعل المسرحى فى تثقيف الناس، وفى التأثير فى أحوالهم، وأفكارهم، واتجاهاتهم.وقد نجح الحزامى فى تصوير الجبرتى، والحاكم من أجل تحقيق هدفه الذى يسعى إليه، ووَفَّقَ فى تصوير قدرته على معرفة الواقع الاجتماعى، والسياسى، والانطلاق منه إلى التفاؤل بالمستقبل.

مدى نجاح الكاتب

قدم الحزامى فى هذه المسرحية طريقته فى رسم الشخصيات، وعرض القصة فنجح الحزامى فى بث أفكاره. فمسرحيته هى الأداة أو الوسيلة التى يضمنها الحزامى مجموعة أفكاره، ونظرياته سواء السياسية منها أو الاجتماعية.إنها الوعاء الذى يتضمن الأمانى،

والأحلام، والرغبات التى يقوم بتجسيدها.

هكذا نرى الحزامى قادرا على خلق الشخصية الإنسانية فى رواياته، وعلى إعطائها الجانب الحى، وعلى توفير الصراع بين الشخصيات، وتحقيق عنصر الإثارة الذى يجعلها مسرحية ناجحة، وأن يعتمد فى كل ذلک على أسلوبه الجديد.وما فلسفته، وما حواره إلا وسائط براقة، للتعبير عن شوقه لخدمة البشرية، وإنقاذ الناس من ظلم الحكام.قد استطاع الكاتب فيها أن يعرض أهدافه بصورة من الصور عن الحرب العراقى مع الكويت وتأثيره فى المجتمع الكويتى.

النتيجة

مسرحية بداية النهاية التى هى النص الفائز بجائزة الدولة التشجيعية عام ٢٠٠١م، كتبها الأديب الحزامى عام ١٩٧٣م وبعد الغزو العراقى الآثم قام بنشرها بعد أن قام بإعادة النظر فيها.وهى انعكاس طبيعى للموضوعات السياسية، أو الاجتماعية، ويتجه الأديب فيها إلى الوعى الاجتماعى الجديد، والصراع بين الطبقات، أو الصراع بين الناس، والحاكم الظالم. تعد المسرحية صوت الحزامى الذى رفعه معترضاً بالاستبدادية و الفساد و تضعيف القيم.

نرى الحزامى قادراً على خلق الشخصية الإنسانية فى رواياته، وعلى إعطائها الجانب الحى، وعلى توفيرالصراع بين الشخصيات، و تحقيق عنصر الإثارة الذى يجعلها مسرحية ناجحة وأن يعتمد فى كل ذلک على أسلوبه الجديد.والشخصيات التى يقدمها لاتختلف فى شىء عن الشخصيات التى نقابلها فى الحياة اليومية. والمواقف التى يضع فيها هذه الشخصيات، عادية أيضاً، ليس فيها ما هو خارج عن المألوف، والحوار أيضا عادى ليس به ما يميزه عن الحوار اليومى وفى كل مسرحية من مسرحيات الحزامى، نجد– غالباً – موضوعاً للمناقشة حول فساد الحكم، والسياسة، ونكبة الشعب، والصراع بين القدرة. وهذه المسرحية نوع من المسرحيات التى تهدف إلى إثارة الانفعالات الشديدة بين الفصلين تنتهى إلى نهاية سعيدة أى انهدام الظلم، وظفر الحقيقة.

المصادر والمراجع

إسماعيل، عزالدين. ١٩٧٨م. *الأدب وفنونه*. القاهرة: دار الفكر العربى.

بندبى، زهرة. ٢٠١٠م. *رسالة جامعية عن نتاجات الحزامى لم تبصر النور*. لانا.

الجبورى، يحيى. ١٩٨٧م. *المدخل لدراسة الفنون الأدبية واللغوية*. قطر: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

حجاوى، غادة وإلياس البراج. ٢٠٠٣م. *الأدب فى الكويت خلال نصف قرن*. مطابع الملك: الكويت.

الحزامى، سليمان. ٢٠٠٦م. *مجموعة الأعمال الكاملة (ثلاثة أجزاء)*. الطبعة الثانية. دولة الكويت: مكتبة الكويت الوطنية.

حسن عبدالله، محمد. ١٩٩٦م. *المسرح الخليجى تأثره بالمسرح العربى والعالمى*. الكويت: رابطة الأدباء فى الكويت.

الشطى، سليمان. ٢٠٠٩م. *المسرح فى الكويت*. الطبعة الأولى. الشارقة: الهيئة العربية للمسرح.

محمد صالح، ليلى. ١٩٩٦م. *أدباء وأديبات الكويت*. الكويت: رابطة الأدباء فى الكويت.

الإبداع والجدة فی کتاب البدیع لابن المعتز

صادق إبراهیمی کاوری*
رحیمة چولانیان**

الملخص

من المراحل الهامة جدا فی تطور آداب الأمم ولغاتها مرحلة التقعید، فلا تصل أمة إلی هذه المرحلة حتی یصل أدبها ولغتها إلی درجة من النضوج، لأن الغایة من وضع القواعد والمعاییر حفاظ اللغة والأدب من الوقوع فی الخطأ.

وقد قام العلماء والأدباء علی اختلاف درجاتهم واتجاهاتهم بهذا الأمر فی التألیف، فمن هؤلاء النفر عبدالله بن المعتز صاحب کتاب البدیع.

أورد ابن المعتز فی صدر کتابه الذی سماه البدیع: وما جمع قبلی فنون البدیع أحد ولاسبقنی إلی تألیفه مؤلف، ثم أضاف إلی تألیفه عنصرین هما: الجدة والإبداع، حیث کان یری کل فن بدیعی یفقد هذین العنصرین.

الکلمات‌الدلیلیة: البدیع، الجدة، الفن، ابن المعتز.

*. عضو هیئة التدریس بجامعة آزاد الإسلامیة فی آبادان.
**. خریجة جامعة آزاد الإسلامیة فی آبادان.

تاریخ الوصول: ۱۳۸۸/۸/۱هـ . ش تاریخ القبول: ۱۳۸۸/۱۱/۲۰ . ش